الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

Civilized Dialogue Of Imam Ja`afir Al-Sadiq (PBUH) with the Other

أ.م.د. محمد حسين السويطي
أ.م.د. محمد فهد القيسي
كلية التربية / جامعة واسط / قسم التاريخ

Asst.Prof. Dr.Mohammed Hussein Al-Switi
Asst.Prof.Dr.Mohammed Fahid Al-Qeisi
College of Education، University of Wasit

husein.mohamed@yahoo.com
mfahd98@yahoo.com

تاريخ الاستلام :١٣-٤-٢٠١٦
تاريخ القبول : ٢١- ١٢-٢٠١٦

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

ولد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في المدينة المنورة سنة (٨٣هـ)، وأستشهد بمقر ولادته سنة (١٤٨هـ) على يد أبي جعفر المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ) حين أمر بدس السم له، وخلال مسيرة حياته أقام مع جده علي بن الحسين (عليه السلام) نحو ثلاث عشرة سنة في بيت لاعهد له الا المصائب والنوازل جديد عهد بفاجعة كربلاء، وتجرّع في مطلع شبابه آلام استشهاد عمه زيد بن علي على يد الأمويين، وأقام بعد جده مع أبيه محمد الباقر (عليه السلام) نحو تسع عشرة سنةً، إذ اشترك معه في تأسيس جامعة أهل البيت التي ملأت الدنيا بآثارها، وأقام بعد أبيه نحو أربع وثلاثين سنة، وهي مدة إمامته عاصر خلالها خمس من حكام بني أمية، هم: هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، والوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ)، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)، ومروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)، وحاكمين من دولة بني العباس، هم: أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)، وأبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ).

وكلّف (عليه السلام) بمهام الإمامة في مرحلة حرجة من عمر الدولة العربية الإسلامية، إذ انحرفت دولة بني أمية عن سبيل الهدى واقترفت بحق المؤمنين أبشع الجرائم، وتراجعت دولة بني العباس الفتية عن وعودها بإنصاف الناس وتحقيق الأمن والسلام، ومن ثم اختلطت العناصر العربية بغيرها من الأمم، مما أدى إلى انحراف المنظومة الأخلاقية لأفراد المجتمع، وظهرت تيارات فكرية متنوعة، وقع بين أفرادها الخصام والجدل حول مسائل كثيرة، منها: صفات الخالق، والقضاء والقدر، ومسائل الغيب والثواب والعقاب، ودور العقل في الوصول إلى الحقيقة

والدين، وهذه الظروف والمشكلات المعقدة أثقلت كثيراً مهمة الإمام (عليه السلام) ، إلا انه عالجها بتطبيق الشريعة الإسلامية واعتماده حواراً حضاريا بناءً مع الآخر، بتوظيف مهاراته المعرفية والإدارية في حل الأزمات.

ولضرورة فهم أساسيات منهج الحوار الحضاري البناء مع الآخر في الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثّله الإمام جعفر الصادق ، لغرض الإفادة منه في حل الأزمات الراهنة، كسياسة الإقصاء والاضطهاد والتهميش، التي تُعد أحد أهم أسباب تفكك الأمم وزوال حضاراتها، جاءت محاولتنا البحثية هذه الموسومة (الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق) .

ولتنوع موضوعات حوار الإمام مع الآخر وظروفه، واختلاف أساليبه وتنوعها، اقتضت الضرورة تقسيم البحث على أربعة محاور، صدرناها بهذه المقدمة، وخصصنا المحور الأول لتوضيح مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر، وعرضنا في المبحث الثاني نماذج من حوارات الإمام الصادق مع حكام عصره، واستعرضنا في المحور الثالث نماذج من حواراته مع علماء عصره، وقدمنا في المحور الرابع نماذج من حواراته مع الملحدين والغلاة، وقفينا البحث بخاتمة تضمنت استعراضاً لأهم الاستنتاجات.

Abstract

Imam Ja`afir Al-Sadiq was born in the Medina Al-Munawra، Enlightened City، in 83 Hijra and fell martyr in his birth city in 148 at the hand of Abu Ja`afir Al-Mansour 136-158 Hijra as he decreed to poison the imam . In his entire life he lived with his grandfather Ali Bin Al-Hussein for thirteen years in a house steeped with rigours and calamities of Karbala atrocity ، endured all the kinds of agony and took certain duties in line with religion at the hardest time of the Islamic Arabic state as the Umayyad derailed from the traditions and doctrines of Islam that is why there are many intellectual waves and trends calling for different opinions : dissention and controversies emerge ، consequently the Imam heaves into view as a pioneer of having a dialogue at the heart of these controversial poles . It is of necessity to exploit the rudiments of such a dialogue in fathoming the other and solving the current cries : exile ، oppression and marginalization policies regarded as the main reasons in devastating nations and obliterating their civilizations ، therefore the Civilized Dialogue Of Imam Ja`afir Al-Sadiq (PBUH) with the Other rises to being and existence .

For the diversity of the dialogues the Imam hold ، it is to bifurcate the paper into four axes with an introduction، the first elucidates the concept of Civilized Dialogue Of Imam Ja`afir Al-Sadiq (PBUH) with the Other، the second does the samples of these dialogues with the readers of his time ، the third does the samples of dialogues with the scientists of his time and the fourth does the samples with the atheists and calumniators ،last the study concludes with the most important results ، we do ask Him that we do our best ، it is of perfection ، it is for Him ، it is of some faults ، it is we are human to error ، no perfection but to Him .

المقدمة

ولد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في المدينة المنورة سنة (٨٣هـ)، واستشهد فيها ولادته سنة (١٤٨هـ) على يد أبي جعفر المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ) حين أمر بدس السم له، وفي مسيرة حياته أقام مع جده علي بن الحسين (عليه السلام) نحو ثلاث عشرة سنة في بيت لاعهد له الا المصائب والنوازل جديد عهد بفاجعة كربلاء، وتجرّع في مطلع شبابه آلام استشهاد عمه زيد بن علي على يد الأمويين، وأقام بعد جده مع أبيه محمد الباقر (عليه السلام) نحو تسع عشرة سنةً، إذ اشترك معه في تأسيس جامعة أهل البيت التي ملأت الدنيا بآثارها، وأقام بعد أبيه نحو أربع وثلاثين سنة، وهي مدة إمامته عاصر فيها خمسة من حكام بني أمية، هم: هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، والوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ)، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)، ومروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)، وحاكمين من دولة بني العباس، هم: أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)، وأبو جعفر المنصور(١٣٦- ١٥٨هـ)[1].

وكلّف (عليه السلام) بمهام الإمامة في مرحلة حرجة من عمر الدولة العربية الإسلامية، إذ انحرفت دولة بني أمية عن سبيل الهدى واقترفت بحق المؤمنين أبشع الجرائم، وتراجعت دولة بني العباس الفتية عن وعودها بإنصاف الناس وتحقيق الأمن والسلام، ومن ثم اختلطت العناصر العربية بغيرها من الأمم، مما أدى إلى انحراف المنظومة الأخلاقية لأفراد المجتمع، وظهرت تيارات فكرية متنوعة، وقع بين أفرادها الخصام والجدل حول مسائل كثيرة، منها: صفات الخالق، والقضاء والقدر، ومسائل الغيب والثواب والعقاب، ودور العقل في الوصول إلى الحقيقة والدين، وهذه الظروف والمشكلات المعقدة أثقلت كثيراً مهمة الإمام (عليه السلام)،

إلا انه عالجها بتطبيق الشريعة الإسلامية واعتماده حواراً حضاريا بناءً مع الآخر، بتوظيف مهاراته المعرفية والإدارية في حل الأزمات.

ولضرورة فهم أساسيات منهج الحوار الحضاري البنّاء مع الآخر في الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثّله الإمام جعفر الصادق ، لغرض الإفادة منه في حل الأزمات الراهنة، كسياسة الإقصاء والاضطهاد والتهميش، التي تُعد أحد أهم أسباب تفكك الأمم وزوال حضاراتها، جاءت محاولتنا البحثية هذه الموسومة بـ(الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام جعفر الصادق) .

ولتنوع موضوعات حوار الإمام مع الآخر وظروفه، واختلاف أساليبه وتنوعها، اقتضت الضرورة تقسيم البحث على أربعة محاور، صدرناها بهذه المقدمة، وخصصنا المحور الأول لتوضيح مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر، وعرضنا في المبحث الثاني نماذج من حوارات الإمام الصادق مع حكام عصره، واستعرضنا في المحور الثالث نماذج من حواراته مع علماء عصره، وقدمنا في المحور الرابع نماذج من حواراته مع الملحدين والغلاة، وقفينا البحث بخاتمة تضمنت استعراضاً لأهم الاستنتاجات.

نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في إعطاء موضوع الدراسة قيمته العلمية التي يستحقها، ويبقى عملنا هذا من صنع البشر، فما كنا فيه على صواب فذلك بفضل الله (عز وجل) وبتوفيق منه، وان تسربت إليه الهفوات فالإنسان خطّاء ما عاش، والكمال لله (جل جلاله) وحده.

المحور الأول- (مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر):

باقتران المفردات (الحوار) مع (الحضاري) و(الآخر) يكون المعنى الإجمالي هو: التفاهم والمناقشة العلمية الراقية التي يستعمل فيها الأدلة والبراهين مع المخالفين لأجل إقناعهم عن ما آمنوا به واعتقدوا، وبالنتيجة إرشادهم إلى طريق الحق والصواب، الذي فيه مرضاة لله سبحانه وتعالى وبناءً للمجتمع الإنساني وتطوير لمنظومته الأخلاقية[٢].

وورد الحوار في القرآن الكريم بمصطلحات عديدة دلت على المناقشة الموضوعية الهادفة مع الآخر، بغية الوصول إلى السبيل الصحيح، منها: (الجدال) و(الحوار)، وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[٣].

وبحسب السنن الإلهية فان وجود الآخر ضرورة لابدّ منها لاستدامة الحياة وعدم ركودها، فالاختلاف واقع بين الناس، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم، وكل ذلك آية من آيات الله، كما في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[٤]، وهذا الاختلاف الظاهريّ دالٌّ على الاختلاف في الآراء والاتجاهات، وبين الله تبارك وتعالى هذا الأمر بقوله الكريم: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[٥].

ومن اجل أن يكون الحوار بناءً ومثمراً في تصحيح مسارات أبناء المجتمعات الإنسانية، وضّح الباري (عز وجل) في كتابه العزيز أصول الحوار الحضاري الهادف

ومنهجه القويم، ومنها: اعتماد سبيل العلم والمعرفة والالتزام به، استناداً لقوله تعالى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(٦)، وسلامة كلام المحاور ووضوح مفرداته وسلامة أدلته من التناقض، وأن يكون هناك اتفاق على منطلقات ثابتة، تكون أساس الحوار، بعضها عقلية؛ كحُسْنِ الصدق، وقُبحِ الكذب، وشُكر المُحسن، ومعاقبة المُذنب، وأخرى دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك، استناداً لقوله تعالى: {... مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٧)، وأن يتجرد طرفا الحوار، ويقصدا الحق، ويبتعدا عن التعصب، ويلتزما بآداب الحوار، ويكونا مؤهلين له، حكمين عاقلين عارفين، لذلك قال إبراهيم (عليه السلام) في محاجَّته لأبيه حين قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً}(٨)، وأن يلتزما بالقول الحسن، ويتجنبا التعنيف، استناداً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...}(٩).

وكان الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) خير مصداق لما ورد في القرآن الكريم، فقد اعتمد أسساً علمية متينة للحوار، كان في طليعتها (الصدق)، الذي تمثل بوصاياه وإرشاداته ومنها: «تعلّموا الصدق قبل الحديث»(١٠)، و(سعة الاطلاع والعلم)، كما في وصيته لأحد طلبته بأن «لا تطلب العلم لثلاث: لترائي به، ولا لتباهي به، ولا لتماري به، ولا تدعه لثلاث: رغبة في الجهل وزهادة في العلم، واستحياءً من الناس، والعلم المصون كالسراج المطبق عليه»(١١).

المحور الثاني- نماذج من حوار الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) مع حكام عصره:

تجرع الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من حكام عصره أنواع الآلام والمضايقات، فجعلوا العيون والحراس عليه حتى يطلعوا على دقائق حياته، وظل كذلك مراقباً من السلطة حتى استشهاده على أثر تزايد شعبيته وتقرب الناس إليه، وهو ما أخاف حكام عصره ومخالفيه، فقدموا على فعلتهم هذه، لكن مع ذلك كله حرص الإمام (عليه السلام) على حوارهم معتمداً في ذلك أساليب متنوعة استندت الى التزامه الكامل بتوجيهات الإسلام وتعاليمه الرافضة للظلم والعدوان، بغية تقديم دروس عملية لأفراد المجتمع الإنساني في التفاهمات والمناقشات مع المخالفين لهم ولآرائهم، وبالنتيجة تحقيق مجتمع تسوده مفاهيم الخير والتسامح والعدل والمساواة والأمن والأمان.

ومما يؤسف عليه أن معلوماتنا عن حوارات الإمام (عليه السلام) مع معاصريه من حكام بني أمية قليلة، نستطيع أن نقول في ضوئها أنه لم يكن هناك توجه نحو تحجيمه (عليه السلام) وإبعاده عن الناس، لاسيما بعد أن صار طلبة العلم يجتمعون به، وصار لجامعة أهل البيت صدى واسع في العالم الإسلامي، ولانجد مسوغاً لذلك الا القول: إن رغبة حكام بني أمية في تصفية الإمام (عليه السلام) لم يستطيعوا تنفيذها لأسباب كثيرة في طليعتها أن حكمهم بدأ يتجه نحو الضعف، وصار الناس في كل مكان يجابهون عمالهم ويتمردون على أوامرهم.

وأما في العصر العباسي فقد وردتنا معلومات عن حوار الإمام (عليه السلام) مع أصحاب السلطة، وعلى قلتها الا أنها توحي لمتطلعها أنه (عليه السلام) قد امتاز بتنوع

أساليب حواره وبحسب الظروف المحيطة، مظهراً بذلك براعة منقطعة النظير، فتارة يلين بالقول ويجهد في براءته إن عرف أن اللين أسلم، وأخرى يلاقيهم بالشدّة والعنف، إذا عرف أن الخشونة ألزم، وإذا به يقول للمنصور في موضع آخر: «فإن كففت وإلا أجرينا اسمك على الله عزّ وجل في كلّ يوم خمس مرّات»[١٢].

ومن الأخبار التي وردت إلينا عن حوار الإمام (عليه السلام) مع حكام بني العباس، أن المنصور استدعاه لشيء بلغه عنه، فلما دنا (عليه السلام) من باب المنصور خرج إليه الحاجب وقال: «أعيذك بالله من سطوة هذا الجبار يا أبا عبد الله فاني رأيت ضرره عليك شديداً»، فقال (عليه السلام): «علي من الله واقية تعينني عليه إن شاء الله، استأذن لي عليه»، فلما أذن له ودخل (عليه السلام)، قال له المنصور بغضب: «يا جعفر قد علمت أن رسول الله قال لأبيك علي بن أبي طالب لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس ألا وأخذوا التراب من تحت قدميك، وقال علي: يهلك في اثنان ولا ذنب لي، محب غال ومبغض مفرط، وإنما قال ذلك اعتذاراً لأنه لا يرضى بما يقوله فيه المحب والعدو، وأنت تعلم ما يقال فيك»، فقال (عليه السلام): «أنا فرع من تلك الزيتونة وقنديل من قناديل بيت النبوة»، فالتفت المنصور لجلسائه وقال: «لقد أحالني على بحر لا يدرك طرفه ولا يبلغ عمقه، هذا هو الشجى المعترض في حلوق الحكام الذي لا يجوز نفيه ولا يحل قتله، ولولا ما يجمعني وإياه من شجرة طاب أصلها وبسق فرعها وعذب ثمرها، لكان مني إليه ما لا تحمد عقباه»، ثم التفت الى الإمام (عليه السلام) وقال: «لقد صفحت عنك يا أبا عبد الله لصدقك، فحدثني بحديث أنتفع به ويكون لي زاجراً من الموبقات»، فقال (عليه السلام): «عليك بالحلم فانه ركن العلم، وأملك نفسك عند أسباب القدرة فانك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً وتداوى حقداً ويجب أن يذكر بالصولة، وأعلم

بأنك إن عاقبت مستحقاً لم يكن غاية ما توصف به الا العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر»، فقال المنصور: «لقد وعظت فأحسنت وقلت فأوجزت»[١٣].

ونلحظ هنا اقتناع الآخر – المنصور العباسي- بحديث الإمام الصادق وحججه، وهو غاية الحوار البناء وهدفه الأسمى، كما نلحظ في هذا الموقف نجاح الإمام (عليه السلام) في نقل المنصور من حالة إلى أخرى، على الرغم من شدة غضبه على الإمام، كما نلحظ هنا استعماله (عليه السلام) أسلوب الحوار الهادئ القائم على مقابلة الشدة باللين، والجحود بصلة الرحم، وتصرفه (عليه السلام) في هذا الموقف لم يكن نابعاً عن حرصه على نفسه، بل حرصه على الخط المحمدي والأمانة الملقاة على عاتقه في صيانة الإسلام المحمدي الأصيل.

وفي سنة (١٤٤هـ) وفد المنصور العباسي الى المدينة لأداء فريضة الحج، فأمر وزيره (الفضل بن الربيع) باستدعاء الإمام (عليه السلام)، فلما حضر قال له الفضل: «يا أبا عبد الله لقد أرسل إليك لأمر عظيم وما أظنك بناج منه»، فأجابه (عليه السلام): «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»، ثم دخل على المنصور وسلم عليه فلم يرد السلام وقال له: «لقد اتخذك أهل العراق إماماً يجبون لك الأموال من الزكاة وغيرها وتلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل في ملكي، قتلني الله إن لم أقتلك»، فقال (عليه السلام): «إن سليمان النبي أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف بن يعقوب ظُلم فغفر، فاقتد بأيهم شئت»[١٤].

ونلحظ من صيغة الحوار المتقدم أن الإمام (عليه السلام) لم يجد بداً من مقابلة طاغية زمانه وهو بتلك الحالة من الحقد والغضب عليه الا بهذا الأسلوب الهادئ اللين

الذي هو من أبلغ ما يمكن أن يكون في مثل هذه الحالات، ومضمونه: إن الله تبارك وتعالى أنعم على عباده واستحق شكرهم، كما شكره سليمان على نعمه وأنت محاط بنعم الله من جميع جوانبه، والتنكيل بالأبرياء على الظنة والتهمة كفر وجحود لنعم الله، وإذا كنت تراني بلاء عليك فلو صبرت على هذا البلاء كما صبر أيوب على أسوأ أنواع البلاء نلت أجر الصابرين، وإذا كنت تراني ظالماً لك فلو اقتديت بيوسف وعفوت كما عفا عمن ظلمه كان ذلك أقرب للتقوى والله يحب المحسنين. وكان لجوابه (عليه السلام) هذا أثر في نفس المنصور وأطرق برأسه –بحسب ما تقول الرواية– واتجه الى الإمام (عليه السلام) بغير الوجه الذي قابله فيه من قبل فأدناه إليه واعتذر منه.

وفي موضع آخر روى المؤرخون أن المنصور استدعى الإمام الصادق (عليه السلام) وأجلسه الى جانبه، وهو كالعادة يكن له البغض والحسد، وينوي قتله، وفي أثناء الحوار وقع الذباب على وجه المنصور، ولم يزل يقع على وجهه وأنفه حتى ضجر منه، فقال: «لم خلق الله الذباب يا أبا عبد الله»، فقال الإمام (عليه السلام): «ليذل به أنف الجبابرة»، ثم قرأ قوله تعالى: {... وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}، فتغير لون وجه المنصور ولم يتكلم معه بما يسيء إليه كلمة واحدة(١٥).

واستعمل هنا الإمام (عليه السلام) أسلوباً في غاية الذكاء بحواره مع الآخر –المنصور العباسي– وهو استعمال الرمز في سبيل الوصول إلى غايته، فلأن الإمام (عليه السلام) كان مكلفاً بحفظ نفسه من الضرر، وفي الوقت نفسه هو مُكلف بهداية الناس ومساعدتهم في التخلص من ذنوبهم، فقد وقع في ظرف دقيق جداً، فمن جانب كانت أية بادرة تبدر منه وتفهم منها السلطة الحاكمة انه يعمل على أخذ الحكم منها،

سيجابه بعقوبات قاسية، لكنه في الوقت نفسه كان مسؤولاً عن تنبيه الناس الى أخطائهم وتصحيح مساراتهم.

و روي أن المنصور استدعى الإمام (عليه السلام) مرة ليعاتبه على قطيعته له، وكان قد زار المدينة ولم يدخل عليه الإمام (عليه السلام) فيمن زاره من الوجوه والأشراف، فقال له: «لم لا تغشانا كما يغشانا الناس»، فأجابه الإمام (عليه السلام): «ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه، ولاعندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك، ولا أنت في نعمة نهنئك بها، ولا في نقمة فنعزيك»، فقال له المنصور: «تصحبنا لتنصحنا»، فرد عليه (عليه السلام) بقوله: «إن من يريد الدنيا لا ينصحك ومن يريد الآخرة لا يصحبك»، فقال المنصور: «والله لقد ميز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وانه لمن يريد الآخرة لا الدنيا»(١٦).

ويتبين من هذا الحوار أن الإمام (عليه السلام) استعمل مفردات بسيطة ومفهومة ذات مقاصد عميقة، فاستطاع توصيل رسالته في نكرانه لشرعية الحكم العباسي، لكن بطريقة رمزية، وهذا بحق من أعقد حالات النقاش والحوار وأسماها، والذي لا يتمكن منه إلا من اكتملت قدرته العقلية ووصلت ذروتها، وهو ما وجد عند الأئمة والأولياء الصالحين، بفضل الرعاية الإلهية لهم.

ولم يقتصر حوار الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على الحكام فحسب بل تعدى إلى المسؤولين الآخرين، ومنهم: والي المنصور في المدينة (شيبة بن غفال)، الذي نال في خطبته من أمير المؤمنين، وكان ذلك سنة ١٤٥هـ بعد قضائه على ثورة محمد وإبراهيم ذي النفس الزكية أولاد عبد الله بن الحسن، في محاولة منه لخداع الرأي العام والتخفيف من وطأة جريمة العباسيين بحق العلويين، فقال ضمن ما قال:

«فان علي بن أبي طالب شق عصا المسلمين وحارب المؤمنين وأراد الأمر لنفسه ومنعه من أهله، فحرمه الله عليه وأماته بغصته، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر من غير استحقاق منهم له، فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مضرجون»، وقد وقع هذا الكلام على الحاضرين كالصاعقة، لكن لخوفهم من بطش الحكومة العباسية لم يحرك أي منهم ساكناً أو يرد على هذا الكلام المزيف، لكن شاء الله تبارك وتعالى أن يمر الإمام الصادق (عليه السلام) بجنب المسجد فسمع الخطابة، فبعد أن فرغ الوالي من بدعه وزيفه بحق آل أبي طالب، قال الإمام بعد أن حمد الله وصلى على رسوله: «أما ما قلت من خير فنحن أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك أولى به»، ولغرض إتمام الحجة التفت الى الناس وقال: «ألا أنبئكم بأخف الناس ميزاناً وأبينهم خسراناً يوم القيامة، ألا وان من أخف الناس ميزاناً وأسوئهم حالاً من باع آخرته بدنيا غيره، وهو هذا»، فسكت الوالي وخرج من المسجد مذموماً مدحوراً[١٧].

وهذا الحوار وان كان سريعاً، إلا إنه عبر عن جملة عبر ودروس، منها: إن الإمام الصادق (عليه السلام) كان في أعماق نفسه شاعراً بتقدمه على من يدعي انه قائد لهذه الأمة، لذلك اتسم حواره بالشدة –كلما احتاج الوضع لذلك– كما حمل مقاصد تربوية عميقة وقيماً إسلامية رفيعة، أهمها: حب الناس لأهل البيت الذي جعله (عليه السلام) يتحدث وهو مطمئن إلى انه لن يطلب احداً، ولا يطلبه احد بحق، على عكس الآخر الذي كان خائفاً من الناس، لذلك حاول استمالتهم وخداعهم عن طريق التزويق في الكلام وإخفاء الحقائق.

المحور الثالث- نماذج من حوار الإمام الصادق (عليه السلام) مع علماء عصره:

لقد حاور الإمام (عليه السلام) فريقاً من العلماء والمتكلمين والمدعين بالعلم والمعرفة، مستعملاً الحوار الهادئ الرصين المدعوم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجاً.

ومن ذلك ما روي عن (عمرو بن عبيد المعتزلي) حين طلب من الإمام (عليه السلام) أن يعدد له الكبائر قائلاً: أحب أن أعرفها من كتاب الله أو سنة نبيه، وسبب هذا الحوار كان الصراع الذي بلغ أقصى حدوده بين المعتزلة والخوارج والمرجئة في مصير مرتكب الكبيرة، فالخوارج كانوا يصفونه بالكفر بينما يقول المعتزلة إنه في منزلة بين المنزلتين، والمرجئة يصفونه بالإيمان ويدعون بأن المعصية مهما بلغ شأنها لا تسلبه صفة الإيمان. فأجاب الإمام (عليه السلام) الى طلبه وبدأها بـ(الشرك بالله)، الذي عده أكبر الكبائر، لقوله تعالى: {... إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ...}[١٨]، وعد منها: (عقوق الوالدين)، لأن العاق لوالديه جبار شقي، والله سبحانه وتعالى يقول: {وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً}[١٩]، و(قذف المحصنات)، لأن الله يقول: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٢٠]، و(الفرار من الزحف)، لأن الله يقول: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[٢١]، و(قتل النفس)، لأن الله يقول: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}[٢٢]، و(نقض العهد وقطيعة الرحم)، لأن الله يقول: {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله

بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[٢٣]، ومضى الإمام (عليه السلام) في تعداد الكبائر مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة حتى أتى على آخرها، وعمرو بن عبيد يستمع لبيانه بشوق ولهفة، فلما انتهى الإمام (عليه السلام) قال عمرو: «هلك من سلبكم تراثكم ونازعكم في الفضل والعلم»[٢٤].

وروي أيضاً أن الإمام حضر لمَجلْس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطبّ فجعل (عليه السلام) ينصت لقراءته، فلما فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله أتريد ممّا معي شيئاً ؟ قال (عليه السلام): «لا، فإن معي ما هو خير ممّا معك»، قال الهندي: «وما هو؟» قال (عليه السلام): «أداوي الحار بالبارد والبارد بالحار، والرطب باليابس واليابس بالرطب، وأردّ الأمر كلّه الى الله عزّ وجل، وأستعمل ممّا قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله، واعلم أن المعدة بيت الداء وأن الحميّة هي الدواء، وأعود البدن ما اعتاد»، فقال الهندي: «وهل الطبّ إلا هذا؟» فقال (عليه السلام): «أفتراني عن كتب الطبّ أخذت»، قال الهندي: «نعم»، قال (عليه السلام): «لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه، فاخبرني أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟» فقال الهندي: «لا بل أنا»، فقال (عليه السلام): «فأسألك شيئاً»، قال الهندي: «سل»، فسأله (عليه السلام) جملة أسئلة منها: «لِمَ كان في الرأس شؤون –يعني ؟ ولِمَ جعل الشعر عليه من فوقه؟ ولم خلت الجبهة من الشعر؟ ولم كان الحاجبان من فوق العينين؟ ولم كان ثقب الأنف في أسفله؟ ولم كان القلب كحب الصنوبر؟ ولم كانت الكلية كحب اللوبيا؟ ولم تخصرت القدمان؟» فعجز الهندي عن الإجابة وطلب من الإمام الإجابة عنها، فأجاب (عليه السلام) مفصلاً في كل سؤال، ومستعملاً أدلة وحجج علمية دامغة دلت على علميته الثاقبة، والهندي يستمع مذهولاً، فلما انتهى (عليه السلام) قال الهندي: «أشهد أن لا الله الا الله وأن محمد

رسول الله وعبده وانك أعلم أهل زمانك»[٢٥]. ونلحظ من هذا الحوار تدرج الإمام (عليه السلام) في إقناع الهندي، واستعماله في الحوار معه ما عنده من حجج وبيانات، إذ حاججه بالعلوم الطبية والصحية التي زعم انه عارفٌ بها، ثم أرشده بها الى سبيل الحق والصواب ومصدر الطب والمعرفة وسائر الأشياء وهو الله تبارك وتعالى، وقد نجح في ذلك خير نجاح.

وجاء في بعض المرويات أن حواراً جرى بين الإمام و(أبي حنيفة النعمان)، ومما ورد فيه سؤال الإمام؟ «بم تفتي أهل العراق يا أبا حنيفة؟»، فقال: «بكتاب الله»، قال الإمام: «وأنت لعالم بالكتاب ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟»، قال: «نعم»، قال الإمام: «فأخبرني عن قوله تعالى: {... وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ}، أي موضع هذا»، قال: «هو ما بين مكة والمدينة»، فالتفت الإمام (عليه السلام) لجلسائه وقال: «نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة وتأمنون على دمائكم وأموالكم؟» فقالوا لا: فقال (عليه السلام): يا أبا حنيفة إن الله لا يقول الا حقاً، أخبرني عن قوله تعالى: {...وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً...} أي موضع هو؟ قال: «ذلك بيت الله الحرام»، فالتفت الإمام الى جلسائه وقال: «نشدتكم بالله هل تعلمون أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه ولم يأمنا القتل؟» فقالوا: «اللهم نعم»، فقال أبو حنيفة: «ليس لي علم بالكتاب إنما أنا صاحب قياس»، فقال الإمام: «فأنظر في قياسك إن كنت مقيساً، أيما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟»، قال: «القتل أعظم»، قال الإمام: «فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا الا بأربعة شهود»، واستمر الحوار الى أن قال أبو حنيفة: «أنا صاحب رأي»، فقال الإمام: «فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلا بزوجتيهما في ليلة واحدة أيضاً، ثم سافرا فتركا زوجتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين، فسقط البيت عليهم

فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث؟»، فعجز عن الإجابة وقال: «إنما أنا صاحب حدود»، فقال له الإمام: «فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح، و قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد؟»، فعجز عن الإجابة أيضاً ثم قال: «إنما أنا رجل عالم ببعث الأنبياء»، قال الإمام: «فأخبرني عن قوله تعالى لموسى وهرون حين بعثهما الى فرعون {...لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} أليست لعل للشك؟»، قال: نعم، قال الإمام: «فهل هي من الله شك؟»، قال: «لا أعلم»، وعند ذاك قال الإمام: «تزعم أنك تفتي بكتاب الله ولست ممّن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وان دين محمد لا يدخله القياس، وأول من قاس إبليس فهلك بقول الله تعالى، {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}»، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صواباً ومن غيره خطأً، لأن الله يقول: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله...}، ولم يقل ذلك لغيره، وتزعم بأنك صاحب حدود ومن أنزلت عليه أولى بعلمك منك، وتزعم أنك عالم بمباعث الأنبياء وخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك، ولولا يقال إن أبا حنيفة دخل على ابن رسول الله ولم يسأله ما سألتك عن شيء»، فقال أبو حنيفة: «لا أتكلم بالرأي والقياس بعد هذا اليوم»، فقال الإمام: «كلا إن حب الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك»[٢٦].

وذكرت المصادر أن جماعة من علماء الأنصار ومفكريهم جاؤوا الى الإمام (عليه السلام) يوماً وسألوه: هل «فضل موسى وعيسى ومحمّد سواء، لأنهم أصحاب الشرائع والكتب»، فقال (عليه السلام): «محمّد أفضل منهما وأعلم، ولقد أعطاه اللّه تبارك وتعالى من العلم ما لم يعطِ غيره»، فقالوا: «آية من كتاب اللّه تعالى نزلت في هذا؟» قال (عليه السلام): «نعم قوله تعالى {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ...}[٢٧]، وقوله تعالى

للسّيد المصطفى {... وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ... }[٢٨]، وقوله تعالى: {لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً }[٢٩]، فهو والله أعلم منهما، ولو حضر موسى وعيسى بحضرتي وسألاني لأجبتهما، وسألتهما ما أجابا»[٣٠].

ونلحظ من جملة الحوارات المتقدمة أن الإمام (عليه السلام) التزم بالأسلوب العلمي المنطقي في الإقناع وتبادل الحجج العلمية، بردّه الحجة بالحجة والدليل بالدليل، فبعض النواهي الشرعية لاتعرف الحكمة في النهي عنها، لذا لا يمكن التدقيق فيها، وبالنتيجة يصل الحوار إلى نقطة لا يمكن الاستمرار فيه، بل يجب على المحاور الاقتناع بحجة المحاور، وهذا ما سار عليه الإمام، كما قدم في الوقت نفسه درساً بليغاً مفاده: إن من أساسيات الحوار أن يكون المحاور قادراً ومتمكناً من المجال الذي يتم الحوار فيه، وكلما كان الشخص أكثر تخصصاً كانت نتائج الحوار أكثر ثمرة ونضجاً.

المحور الرابع- نماذج من حوار الإمام الصادق (عليه السلام) مع الملحدين والفاسقين والغلاة:

لم يقتصر حوار الإمام (عليه السلام) على العلماء والحكماء والمدعين العلم فحسب، بل شمل كذلك بحواراته العلمية البناءة الملحدين والفاسقين والمغالين، لغرض فضحهم أمام عامة الناس ووأد أفكارهم التي تسمم عقول الناس، فضلاً عن محاولته لإعادة هؤلاء الى سبيل رشدهم وتصحيح مسارهم الفكري المنحرف، مستعملاً معهم الحوار الهادئ الرصين المدعوم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجاً.

فقد كان الغلو من أبرز المشاكل التي واجهها الإمام الصادق (عليه السلام)، وسبّبها المندسون بين أصحابه (عليه السلام) الذين سعوا الى تشويه تراث أهل البيت وتخريبه، فوضعوا جملة من الأحاديث ونسبوها للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وكان غالبيتها لايتفق مع أصول الإسلام ومبادئه، فأدت تداعيات هذا التيار الى ظهور اتجاه الغلو في حب الأئمة (عليهم السلام)، لما جعلوهم فوق مستوى البشر وأعطوهم صفات الآلهة، وقد استغلت السلطة العباسية هذا الاتجاه في عهد الإمام الصادق وغذته بهدف تشتيت الناس عن الإمام (عليه السلام)، دل على ذلك مكافأتها لزعامات هذا الاتجاه، كتكليفها لـ(أبي البختري)[٣١] المعروف بكذبه ووضعه للأحاديث بالقضاء.

وكان للإمام الصادق (عليه السلام) موقف حازم من هؤلاء، فوضع منهجاً متكاملاً وواضحاً لمواجهتهم، كان أول خطواته إعلانه البراءة من الرواة الذين تحدثوا بما لا

يتوافق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم اعمامه ونشره بين أفراد المجتمع الإسلامي من طريق طلبته وأصحابه بعض أقواله الفاضحة لهؤلاء المنحرفين، ومنها قوله: «والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما ننكره وبما لم نقله في أنفسنا»[٣٢]، وقوله: «إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا، واني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه، وذلك أنهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسا»[٣٣]؛ ثم أتم برنامجه بوصيته لأصحابه وطلبة العلم بأن لا يقبلوا كل ما يرويه الرواة عن أهل البيت، ووضع قاعدة علمية لكل لذلك يرجعون إليها ليتأكدوا من صحة ما ينسب الى أهل البيت، تضمنها قوله: «لا تقبلوا علينا الا ما وافق القرآن والسنة، أو ما تجدون عليه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة»[٣٤].

ولم تكن مشكلة الملحدين والفاسقين بأقل خطراً من مشكلة المغالين، لذلك وضع الإمام الصادق (عليه السلام) في أولويات منهجه التصحيحي التصدي لهم باعتماد أسلوب الحوار العلمي، ومما روي بخصوص حواراته (عليه السلام) في هذا الصدد أن (ابن أبي العوجاء)، وجد يوماً الناس مجتمعة على الإمام (عليه السلام) بالمسجد الحرام يفتيهم ويجيب مسائلهم بالحجج والبراهين، فحاول بث الأوهام وما يعتقد به من أفكار بالية وكافرة بين الناس، فأجابوه: «هل لك في تغليط هذا الجالس»، فقال: نعم، ثم تقدم نحو الجماهير وشق حشودها حتى وقف بقرب الإمام وقال له: «يا أبا عبد الله أتأذن لي بسؤال»، فقال له الإمام: «سل ما شئت»، فقال: «الى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ من فكر في هذا وقدر علم أنه فعل غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أساسه ونظامه»، فقال الإمام: «إن

من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه وربه ويورده موارد الهلكة ولا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي الى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر والانتهاء عما زجر هو الله المنشئ للأرواح والصور»، فقال له ابن أبي العوجا: «ذكرت يا أبا عبد الله فأحلت على غائب»، فقال له الإمام: «كيف يكون يا ويلك غائباً من هو مع خلقه شاهد وهو أقرب إليهم من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان، تشهد بذلك آثاره وتدل عليه أفعاله، والذي بعث بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمد بن عبد الله الذي جاءنا بهذه العبادة فان شككت في شيء من أمره فأسأل عنه أوضحه لك». فسكت ابن أبي العوجا ولم يدر ما يقول وانصرف من بين يديه وقال لأصحابه: «سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني على جمرة»، فقالوا له: «اسكت فوالله لقد فضحنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه»[٣٥].

وفي حوار مع زنديق هو (أبو شاكر الديصاني) أجاب الإمام عن سؤاله طرحه نص على: «ما الدليل على أن لك صانعاً؟ فقال الإمام: «وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين، إمّا أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري، فإن كنت صنعتها فلا أخلو من إحدى جهتين إمّا أنّ أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو ربّ العالمين»، فقام الديصاني وهو لا يعلم ما يقول أو يجيب مردداً انك حجة الله على خلقه واني تائب مما كنت فيه[٣٦].

وفي موضع آخر دخل الديصاني على الإمام وسأله: «ما الدليل على حدث العالم»، فقال الإمام: «يستدل عليه بأقرب الأشياء»، فقال الديصاني: «وما هو»، فدعا الإمام طفل بجنبه كان يلعب ببيضة فأخذها منه و» وضعها على راحته فقال هذا حصن ملموم داخله غرقى تطيف فيه فضة سائلة و ذهبة مائعة ثم تنفلق عن مثل الطاووس أدخلها شيء؟» قال الديصاني: «لا»، فقال الإمام: «فهذا الدليل على حدث العالم»، قال الديصاني: «أخبرت فأوجزت، وقلت فأحسنت، وقد علمت أنا لا نقبل الا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو لمسناه بأكفنا، أو شممناه بمناخرنا، أو ذقناه بأفواهنا، تصور في القلوب بياناً، واستنبطته الروايات ايقاناً»، فقال الإمام: «ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تنفع الظلمة بغير مصباح»(٣٧). وهكذا استطاع الإمام باستعماله الأدلة القاطعة والحجج الدامغة من إقناع الآخر (الديصاني) الذي كان مخالفاً تماماً لتوجهات الإمام ورؤاه في التوحيد والمسائل العقائدية الأخرى.

ومن المشاكل الفكرية التي ظهرت في زمن الإمام الصادق شبهة التجسيم التي روج لها بعض الزنادقة فدخلت في بعض معتقدات أهل الآراء والمذاهب من المسلمين، الذين يجمدون في الدين على الظواهر، وكان للإمام فضل كبير في تحجيم هذا التوجه بحواراته العلمية الرصينة، ومن جملة ما روي في هذا الصدد حواره مع رجل لم تسمه المصادر كان يعتقد بالتجسيم، فقال له الإمام بعد جدال طويل: «إن الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً»(٣٨). وفي موضع آخر سأله سائل بهذا الصدد فأجاب: «لا جسم ولا صورة وهو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، لم يتجزّأ ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين

الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ فرّق بين جسمه وصوره وأنشأه، إذ لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً»[٣٩]. فما أروع هذا البيان وقوة حجته ومتانة تركيبه، فأغنى بوضوحه عن إيضاحه.

ومن حوارات الإمام الأخرى مع الخارجين عن سبيل الصواب، ما روي بأنه كان بمصر زنديق أرسل لمناظرة الإمام، فخرج الى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، وقيل: إنه خارج بمكّة، فخرج الى مكّة فصادفه الإمام في الطواف، وكان اسمه عبد الملك، وكنيته أبو عبد الله، فضرب كتفه كتف الإمام، فقال له: «ما اسمك؟» قال: «عبد الملك»، قال الإمام: «فما كنيتك؟» قال: «أبو عبد الله»، فقال الإمام: «فمن هذا الملك الذي أنت عبده؟ أمن ملوك الأرض أم ملوك السماء؟ واخبرني عن ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ قل ما شئت، تخصم». فلم يحرّ جواباً. ثمّ قال له الإمام: «إذا فرغت من الطواف فأتنا»، فلما فرغ أتاه الزنديق فقعد بين يدي الإمام، فقال للزنديق: «أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً؟» قال: «نعم»، قال الإمام: «فدخلت تحتها؟» قال: «لا»، قال الإمام: «فما يدريك ما تحتها؟» قال: «لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء»، فقال الإمام: «فالظنّ عجز فلِم لا تستيقن»، ثمّ قال (عليه السلام): «أفصعدت الى السماء؟» قال: «لا»، قال (عليه السلام): «أفتدري ما فيها؟» قال: «لا»، قال (عليه السلام): «عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل الى الأرض ولم تصعد الى السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ، وأنت جاحد بما فيهنّ، فهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟» قال الزنديق: «ما كلّمني بها أحد غيرك»[٤٠]. ونلمس من هذا الحوار قدرة الإمام على إقناع الآخر مستعملاً في ذلك حجج وأدلة عقلية ونقلية قريبة من تفكيره وقادر على استيعابها ولا يمكنه التشكيك بها.

الخاتمة (خلاصة البحث وأهم الاستنتاجات):

١- امتاز الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بقدرته على الحوار، منذ صغره، وقد استطاع إقناع كبار العلماء والفقهاء المخالفين، وهو أمر دل على سعة علمه الذي لم يكن مكتسباً، وإنما هو علم خاص، ألهمه الله له.

٢- استخدم الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أسلوباً ذكياً في حواره مع الآخر (الحاكم)، وهو استعمال الرمز في سبيل الوصول إلى الغاية والمقصد، فبما إن الإمام كان مكلفاً بحفظ نفسه من الضرر، فهو بالوقت نفسه مكلف بهداية الناس ومساعدتهم في التخلص من ذنوبهم.

٣- إن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على الرغم من إدراكه عدم شرعية من تقلد زمام الخلافة، إلا انه كان غير منقطع عنهم، ويجتمع بهم بشكل مستمر، وفي ذلك إشارة إلى قبول الآخر لغرض الوصول معه إلى نتيجة ايجابية.

٤- عُني الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بإرشاد الناس إلى الحق وهدايتهم إلى الصواب، فقام بدور مهم في إنقاذ جماعة ممن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتياراتها، وببركة إرشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغي والضلال وصاروا من المؤمنين.

٥- حاور الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بما يعتقد به الآخر، دون أن يحاوره بما لا يعتقد به، وهو أمر دل على سمو منهجية الحوار من خلال إلزام الآخر بما يلزم به نفسه.

٦- تنوعت أساليب الحوار عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، فكان من جملتها الحوار بالفعال دون الكلام، والحوار بالرمز دون المباشر، وتجلى ذلك بمواقف عديدة وردت في تضاعيف البحث.

(الهوامش)

١- ينظر: الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص١١٠- ص١١١؛ العارف الموصلي، مناقب آل محمد، ص١٢٥- ص١٢٦ .

٢- من اجل استيضاح المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفردات (الحوار)، و(الحضاري)، و(الآخر)، ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٢/ ص٦٣٣ وص٦٤٠ وج٦/ ص٢٢٧٨؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٩١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤/ ص١٩٧- ص١٩٨ وص٢١٨؛ ج١٥/ ص٢٧٨؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج١/ ص٣٥١ وص٥٩٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣/ ص١٤٦ وص١٦٢ وج٧/ ص٢٥٤؛ الأنصاري، الموسوعة الفقهية، ج١/ ص١٨٤ .

٣- سورة المجادلة: آية ١ .

٤- سورة الروم: آية ٢٢ .

٥- سورة هود: آية ١١٨ .

٦- سورة البقرة: آية ١١١ .

٧- سورة المائدة: آية ٤٧ .

٨- سورة مريم: آية ٤٣ .

٩- سورة النحل: آية ١٢٥ .

١٠- الكليني، الكافي، ج٢/ ص١٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨/ ص٣ .

١١- الحراني، تحف العقول، ص٣١٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥/ ص٢٩٢ .

١٢- المصدر نفسه، ج٤٧/ ص١٨٩ وج٩١/ ص٢٧١ .

١٣- ينظر: الطوسي، الأمالي، ص٧٠٩- ص٧١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص١٦٧- ص١٦٩.

١٤- ينظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١/ ص٧٠- ص٧١؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص٢٠٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ ص٢٦٦ .

١٥- ينظر: العارف الموصلي، مناقب آل محمد، ص١٢٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٥/ ص٩٢- ص٩٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ ص٢٦٤ وج٧/ ص٢٠٢ .

١٦- ينظر: الأربلي، كشف الغمة، ج٢/ ص٤٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص١٨٤- ص١٨٥؛ الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج١٢/ ص٣٠٧ .

١٧- الطوسي، الأمالي، ص٥٠- ص٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص١٦٥ .

١٨- المائدة: ٧٢ .

١٩- مريم: ٣٢ .

٢٠- النور: ٢٣ .

٢١- الأنفال: ١٦ .

٢٢- النساء: ٩٣ .

٢٣- البقرة: ٢٧ .

٢٤- ينظر: الكليني، الكافي، ج٢/ ص٢٨٥- ص٢٨٧؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/ ص٥٦٣- ص٥٦٤.

٢٥- الصدوق، الخصال، ص٥١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠/ ص٢٠٥

٢٦- ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢/ ص١١٥- ص١١٧؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ ص٣٧٦- ص٣٧٨؛ العارف الموصلي، مناقب آل محمد، ص١٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٢٨٧- ص٢٨٩، ج١٠/ ص٢١٣- ص٢١٤ .

٢٧- الأعراف: ١٤٥ .

٢٨- النحل: ٨٩ .

٢٩- الجن: ٢٨ .

٣٠- ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ ص٣٨٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠/ ص٢١٥ .

٣١- هو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة بن أبي المطلب، من قريش، وقيل يهودي الأصل، وكان من العلماء بالأخبار والأنساب، متهم بالكذب ووضع الحديث، تولى القضاء أيام هارون العباسي وظل على ذلك مدة، وتوفي سنة (٢٠٠هـ) في بغداد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/ ص١٢٦ .

٣٢- الكليني، الكافي، ج٢/ ص٢٢٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/ ص٣٧٢؛ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦/ ص١٤٤ .

٣٣- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١/ ص٣٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٢٤٦ .

٣٤- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢/ ص٤٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٢٥٠ وج٦٩/ ص٢١١ وج٨٤/ ص١٠٣ .

٣٥- ينظر: المفيد، الإرشاد، ج٢/ ص١٩٩- ص٢٠٢؛ الكراجكي، كنز الفوائد، ص٢٢٠- ص٢٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠/ ص٢٠٩- ص٢١١ .

٣٦- الصدوق، التوحيد، ص٢٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢/ ص٧١- ص٧٢ .

٣٧- الصدوق، الأمالي، ص٤٣٢؛ المفيد، الإرشاد، ج٢/ ص٢٠١- ص٢٠٢؛ وينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢/ ص٧١- ص٧٢ .

٣٨- الكليني، الكافي، ج١/ ص١٠٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣/ ص٣٠٢- ص٣٠٣ .

٣٩- الصدوق، الأمالي، ص٤١٩؛ الكليني، الكافي، ج١/ ص١٠٦ .

٤٠- الكليني، الكافي، ج١/ ص٧٢- ص٧٣ .

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نفتتح به القرآن الكريم

* الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ):

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، دار الأضواء، (بيروت-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

* الأنصاري، محمد علي:

٢- الموسوعة الفقهية الميسرة، مجمع الفكر الإسلامي، (قم- ١٤١٥هـ. ق).

* التنوخي، أبو علي الحسين بن أبي القاسم (ت٣٨٤هـ):

٣- الفرج بعد الشدة، ط٢، منشورات الشريف الرضي، (قم- ١٣٦٤هـ).

* الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ):

٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٤٠٧هـ).

* الحراني، ابن شعبة (ت ق ٤هـ):

٥- تحف العقول، ط٢، تحقيق وتعليق علي أكبر الغفاري، متوسطة النشر الإسلامي، (قم- ١٤٠٤هـ).

* الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ):

٦- سير أعلام النبلاء، ط٩، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، (بيروت-١٤١٣هـ).

* الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت٧٢١هـ):

٧- مختار الصحاح، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

* الزبيدي محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ):

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة (بيروت- د.ت).

* الزركلي، خير الدين:

٩- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٧٩م).

* ابن شهر اشوب، ابن شهر (ت٥٨٨هـ):

١٠- مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، (النجف- ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

* الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ):

١١- التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني، جماعة المدرسين، (قم- ١٣٨٧هـ).

١٢- الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، تحقيق جماعة المدرسي، (قم- د.ت).

١٣- من لا يحضره الفقيه، ط٢، تحقيق علي أكبر غفاري، (د.م- ١٤٠٤هـ).

* الطبرسي، المحقق النوري (ت١٣٢٠هـ):

١٤- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (د.م- ١٤٠٨هـ).

* الطبرسي، أحمد بن علي (ت٥٦٠هـ):

١٥- الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، د.م- د.ن).

* الطبري، محمد بن جرير بن رستم الشيعي (ت أوائل القرن الرابع الهجري):

١٦- دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعث، (قم-١٤١٣هـ).

* الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ):

١٧- مجمع البحرين، ط٢، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة ناشر الثقافة الإسلامية، (د.م- ١٤٠٨هـ).

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ):

١٨- اختيار معرفة الرجال، تحقيق محمد باقر الحسيني وآخرون، (قم- ١٤٠٤هـ).

١٩- الأمالي، قسم الدراسات الإسلامية، قم- ١٤١٧هـ).

٢٠- التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتبة الإعلام السياسي، (د.م- ١٤٠٩هـ).

* العارف الموصلي، شرف الدين أبي محمد عمر بن شجاع الدين محمد بن عبد الواحد (ت٦٥٧هـ):

٢١- مناقب آل محمد المسمى بـ(النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم)، تحقيق السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

* الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي (ت٤٤٩هـ):

٢٢- كنز الفوائد، ط٢، مكتبة المصطفوي، (قم- ١٤١٠هـ).

* الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م):

٢٣- الكافي، ط٣، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، (أخوندى-١٣٦٧هـ).

* المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ):

٢٤- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، (بيروت- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

* المزي، أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ):

٢٥- تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، (د.م- ١٤١٣هـ)

* المفيد (ت٤١٣هـ):

٢٦- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، (د.م- د.ت).

* ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م):

٢٧- لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، (د.م- ١٤٠٥هـ).

* النيسابوري، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ):

٢٨- روضة الواعظين، تحقيق: السيد محمد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، (قم- د.ت).